

عيدُ بأي حال عدت يا عيدُ

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الأعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

في قاموس المفردات الوطنية الاستقلال يعني إمكانية القرار بحرية دون الرجوع إلى أي مرجعية غير وطنية. وانطلاقاً من التحديد العلمي لكلمة استقلال نستطيع بالمقارنة مع الواقع المزري الذي يعيشه لبنان منذ العام ١٩٩٠ أن نؤكد بأن لبنان فقد استقلاله كلياً. فالقرارات الصغرى والكبرى تعود إلى مرجعية خارجية هي مرجعية الاستعمار السوري، كما أن الذين يمارسون السلطة أو بالأحرى المنصبين رغماً عن إرادة الشعب في السلطة دُمى تُحرك بالريموت كونترول وتخضع قراراتهم بالكامل لرغبات بل قل لفرمانات المستعمر هذا وإلا تعرضوا إلى جميع أنواع الاقتصاص ابتداء من الإخراج من السلطة وحتى الحذف الجسدي. إن السيادة من أهم مقومات الاستقلال، والشعب في الأنظمة الديمقراطية يُعتبر السيد المطلق ومصدر السلطة الأوحد. هذا ولا يحق شرعاً لأي قوة مهما كانت أن تتنازل عن السيادة قبل الرجوع إلى مصدرها، أي إلى الشعب، كما أن الدولة تخسر سيادتها على أراضيها عندما تقوم قوى غريبة بتطبيق القوانين والإجراءات الأمنية بدلاً عنها.

إن الواقع الحالي في لبنان يبين وجود حال اغتصاب جزئي للسيادة من قبل إسرائيل ويتعلق بالشريط الحدودي، واغتصاب كلي للسيادة والقرار والإرادة الوطنية من قبل سوريا. والأمر المفروض سورياً لا يمكن إضفاء أي شرعية عليه، لأن الاحتلال هو الفعل الأول الذي انبثق عنه الحكم العميل الذي يحاول شرعنة الإحتلال. وبنتيجة ما أوردنا لا يحق وطنياً لأي لبناني أن يحتفل بعيد الإستقلال طالما القرار مصادر والسيادة منتهكة وإرادة الشعب مكبلة.

إن الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني كان فيما مضى محطةً تنفحُ في قلوب كل المواطنين اللبنانيين مقيمين ومغتربين زحماً من الاعتزاز والفخر بالانتماء إلى وطن الحرية والكرامة. أما اليوم ومنذ أن استأثر المستعمر السوري والمحتل الإسرائيلي بمقدرات الوطن تحولت هذه المناسبة إلى ذكرى فاجعة تدمي قلب كل لبناني أصيل. لذا نتوقف اليوم في ذكرى الاستقلال هذه،

لنسأل أنفسنا بمزيد من التأمل والبحث عن السبل الفضلى لإعادة الاعتبار لكرامة وعنفوان اللبناني باستعادة الاستقلال المسلوب. ويصعقنا فعلاً مجرد تفكير البعض بلاد الانتشار إقامة الاحتفالات الصاخبة وإلقاء الخطب الرنانة لخطب ود اليوضاصيين المكلفين تصفية إرث الأجداد وفلش أجساد المواطنين سجادة يطأها المستعمرون والمحتلون.

فعندما يصبح "الوجود العسكري السوري في لبنان" "مسلمة" لا تقبل الجدل" كما يدعي المتعاونين ويصفق لهم ممثلو السلطة" يصبح من الطبيعي أن يُتهم بالخيانة والتبعية والتواطؤ كل لبناني يقترب من السلطة المنصبة، تحت أي سقف وأي ظرف. إن اللبنانيين الشرفاء الذين تعزّ عليهم كرامتهم وكرامة الوطن، ويرفضون الذلّ والهوان يعتبرون أن مجرد التفكير بالمشاركة بأي شكل من الأشكال بالاحتفالات الكاذبة بمناسبة ذكرى الاستقلال، هو طعنة للكرامة والعزة الوطنية، وهم بالتالي يستهجنون ويمجون الإقدام على تنظيم هكذا احتفالات. لا يمكننا أن ننكر أن الاحتفال بذكرى الاستقلال واجبٌ وطنيٌ مطلوب من كل لبناني، هذا طبعاً إذا كان هناك إستقلالٌ فعليٌ. أما الاحتفال بظل الاستعمار - الاحتلال وتحت رحمة المتعاونين فهذا منتهى التزلف. كما أنه خيانة للبنان ال ٦٠٠٠ سنة تاريخ وحضارة، لبنان ال ١٠٤٥٢ كلم، وتدنيسٌ لدماء الشهداء الأبرار، وانتقاصٌ من تضحيات الأبناء والأجداد الصناديد. فأىُّ استقلال هذا الذي سيحتفل به والبلادُ بكاملها رازحةٌ تحت نير حكم الأعراب، وعشرات الآلاف من اللبنانيين إما مهجرون أو مهاجرون أو في المعتقلات داخل الحدود وخارجها. في حين أن القيادات الوطنية مُبعدة، والقرارُ الوطني مصادرٌ، والكراماتُ مهانةٌ، وأبسط حقوق الإنسان اللبناني منتهكةٌ، والحكمُ تابعٌ، والحكّامُ دميٌ تُحرك وتعيّن من الخارج، والاقتصاد على طريق الانهيار، والديون الخارجية ترهق البلاد والعباد، والأملاك تصادر، والفضائح بالعشرات؟. وأي استقلال هذا، ومصير لبنان الكيان والدولة ووحدة الأرض في مهب الريح وسط معمعة وغموض الحلول التي تطبخ لضمان أمن إسرائيل، واسترضاء الحكم الشامي على حساب كيان وسيادة ووحدة لبنان؟ وهل يعقل أن يحتفل بذكرى الاستقلال فيما الحكم اللبناني متحل بالكامل عن دوره للسوري في المفاوضات العربية الإسرائيلية التي تجري لرسم خريطة جديدة للشرق الأوسط في ظل النظام العالمي الجديد؟

أن لبنان الوجود والكيان والهوية والتاريخ في خطر ولم يعد جائزاً لأي لبناني أن يساوم أو يهادن أو يدهن وخصوصاً الذين يعيشون في بلاد ديمقراطية، حرية الرأي فيها مصادرة. إن وحدة اللبنانيين بتمايز انتماءاتهم السياسية والدينية حول صون كيان الوطن هو الرد الكفيل بردع كل متطاول على حقوقنا الوطنية. فالكرامة الوطنية لا يمكن أن تتجزأ، وكل لبناني معني بها ومن واجبه صيانتها. إن السيادة واستقلال القرار السياسي والاقتصادي والثقافي هما اللذان يضيفان على النشيد الوطني وجواز السفر والعلم عمقاً وطنياً.

إن مؤامرة وضع اليد على لبنان وسحق إرادة بنيه وتغييب وجهه الحضاري، وطمس شخصيته المميزة، والقضاء على هويته الإنسانية مستمرة، وعلينا نحن أولاد قضية تحرير لبنان أن نتابع مقاومة الحضارية والسلمية دون يأس أو كلل حتى تتحرر أرضنا بالكامل. إننا وبمناسبة ذكرى الاستقلال هذه السنة نكرر مع أحرار لبنان المطالبة بضرورة انسحاب كل القوى العسكرية الغربية وملحقاتها عن كامل ترابنا الوطني، وبتشكيل حكومة وطنية تتمثل فيها كل شرائحنا اللبنانية، وبإجراء انتخابات نيابية حرة تحت إشراف دولي، وبعودة كل المهجرين والمهاجرين، وبإعطاء شعبنا الفرصة ليقرر وعن طريق مؤسساته الدستورية دون ضغوط أو إرهاب نوع النظام الذي يريد. نظامٌ مميّزته التعايش والحرية والمساواة والعدل والديمقراطية. نظامٌ يحافظ على شخصية وحضارة وثقافة وخصوصية كل الأقليات التي إتخذت من لبنان وطناً نهائياً لها. كما نطالب بضرورة بل بجمية إعطاء كل المغتربين اللبنانيين والمتحدرين من أصل لبناني في كافة أصقاع الدنيا الحق الكامل غير المنقوص في استعادة جنسيتهم اللبنانية وتأمين حقوقهم في المواطنة الكاملة كونهم الجناح الآخر للبنان وسنده القوي وحصانته ضد الشدائد والخن ودرعه الصلب الذي يرد عنه شر الغرباء. لنعلن بصوت عالٍ: لا للاحتفال بذكرى استقلال منقوص، لا لكل مخططات الغرباء الطامعين بأرضنا وبثرواتنا، لا لقوى الاستعمار والاحتلال والشر التي تحاول طمس شخصيتنا اللبنانية المميزة وضرب كياننا، لا للمتعاونين والمتزلفين، لا للذلل، وألف لا للتبعية والاستسلام. ونعم للبنان الحرّ السيّد المستقلّ، ولكل لبناني يعمل لتحرير وطنه ولرفع شأن مجتمعه. عاش لبنان حرّاً مستقلاً بسعي أبنائه الأحرار مقيمين ومغتربين. تورنتو في ٢١ / ١١ / ١٩٩٨